الفترة الثانية من حكم الإمام
فيصل بن تركي

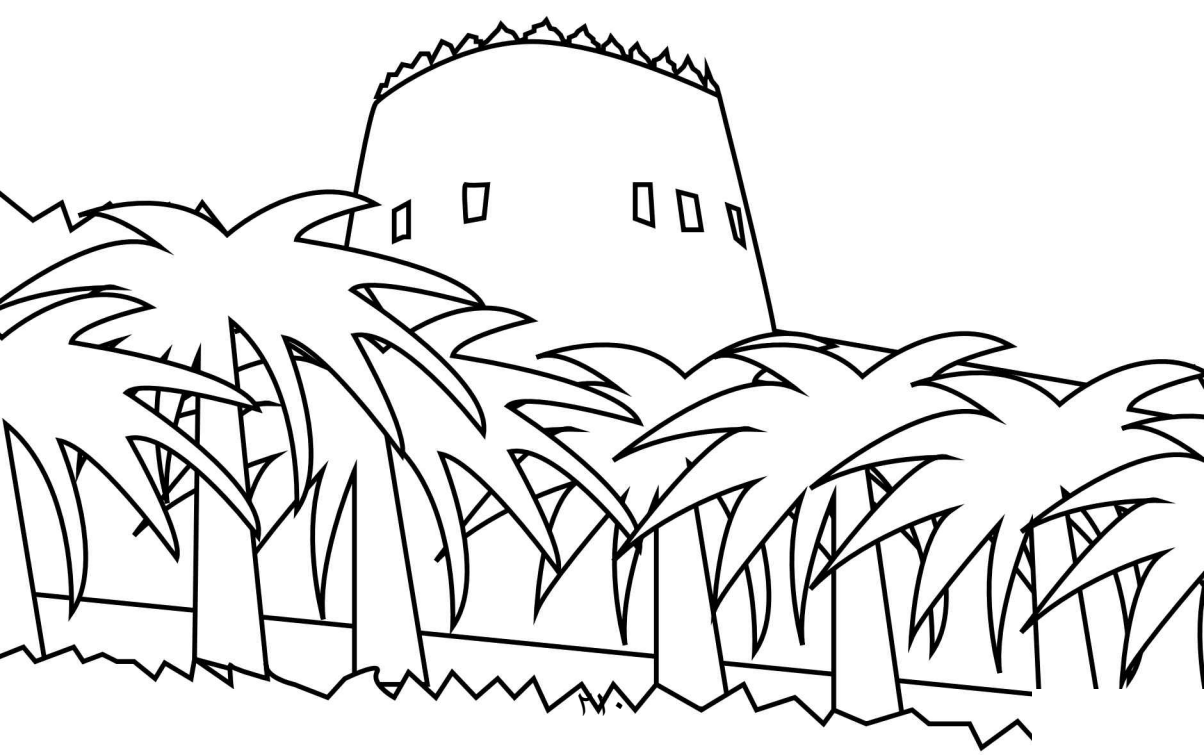

١- استعادته الحكم:

حينما تَمكَّن فيصل بن تركي من مغادرة مصر اتَّجه إلى جبل شَمَّر. وكان ذلك الاتِّجاه أمرًا متوقعًا. ذلك أن الجبل أقرب المناطق النجدية إلى شمالي الحجاز الذي توغَّل فيصل في جزيرة العرب عن طريقه. ثم إن ذلك الجبل أيضًا، كان حينذاك تحت إمرة صديقه عبدالله بن رشيد، الذي كان قد ثبت حكمه هناك، وازداد رسوخًا إثر معركة بقعاء المشار إليه سابقًا. ولقد وجد فيصل من ذلك الأمير ما كان متوقعًا ومؤملًا أن يجده من ترحيب واستعداد للوقوف معه لاستعادة حكم البلاد[١].

وما إن استقر فيصل بن تركي في حائل حتى كتب إلى أمراء نجد وزعمائها يخبرهم بوصوله إليها، ويطلب منهم أن يَنضمُّوا إليه[٢]. وكانت القصيم أَوَّل مرحلة من مراحل خطته في الاستيلاء على نجد، وذلك لقربها من جبل شَمَّر، ولأَهمِّيتها من حيث الموقع والثروة.

أما عبدالله بن ثُنيَّان فإنه حين علم بأخبار فيصل بن تركي جمع ما أمكنه جمعه من قوات، واتَّجه إلى القصيم ليحول دون وقوعها في يد خصمه الجديد[٣]. فماذا كان موقف زعماء القصيم ذاتها؟

لقد اختلف موقفا زعماء البلدتين الكبيرتين هناك. فَفضَّل أمير بُرَيدة، عبدالعزيز بن محمد آل أبي عليَّان، أن ينضم إلى عبدالله بن ثُنيَّان. ولَعلَّ من أسباب ذلك ما كان يوجد من عداوة بينه وبين عبدالله بن رشيد عماد قوة فيصل بن تركي حينذاك. فدفعته تلك العداوة إلى أن يقف ضد من يعتمد على

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠ - ١٣١.

عَدوِّه. أما أمير عُنَيزة، عبدالله بن سُلَيم، فقد ناقش القضية مع كبار أهل بلدته، والقاضي عبدالله أبي بطين، ورأى الجميع الوقوف مع فيصل بن تركي. فبعثوا إليه وفدًا يخبره باستعدادهم لاستقباله والترحيب به، واستطاع فيصل أن يصل إلى عُنَيزة قبل أن يدركه عبدالله بن ثُنيَّان بما أَعدَّه من قوات. وعندئذ أدرك هذا الأخير ضعف موقفه؛ وبخاصة بعد أن انضم بعض أتباعه إلى صفوفه خصمه. ولم يجد بُدًّا من العودة إلى الرياض[1].

وما إن انسحب عبدالله بن ثُنيَّان من القصيم حتى أصبحت جميع بلدانها تحت نفوذ فيصل ابن تركي، الذي واصل زحفه صوب الرياض والنصر يواكبه مرحلةً مرحلةً حتى وصل إلى هذه المدينة. وعند وصوله إليها تعاون معه بعض سكانها، فدخلها وحاصر عبدالله بن ثُنيَّان في قصر الحكم. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من بدء الحصار دارت مفاوضات بين الزعيمين السعوديين عن طريق عُبَيْد بن رشيد، لكنها لم تسفر عن نتيجة إيجابية، فَتسلَّل عبدالله من القصر محاولًا الهروب من الرياض. لكن أتباع فيصل قبضوا عليه وسَلَّموه إلى قائدهم، الذي أودعه في السجن[2]. وبذلك انتهت فترة حكم ابن ثُنيَّان التي دامت عامين شهدت البلاد خلالها انسحاب بقية حاميات حاكم مصر منها. لكنها شهدت أيضًا شيئًا من القسوة والإجراءات الصارمة. وقد توفي عبدالله داخل السجن بعد شهر تقريبًا من سجنه. وكانت وفاته في منتصف جمادى الآخرة عام ١٢٥٩هـ[3].

وهكذا عاد فيصل بن تركي إلى الحكم، وبدأت فترة حكمه الثانية التي استمرت ثلاثة وعشرين عامًا.

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠ - ١٣١.

(٢) الفاخري، ص١٧٧؛ ابن بشر، ج١، ص١٣١ - ١٣٤.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص١٣٤. ويذكر ضاري الرشيد (ص٩٧) أن حراسه هم الذين قتلوه، لأنه قتل آباءهم. وادَّعوا أنه مات موتًا طبيعيًّا.

٢- توحيد نجد والأحساء وبداية المشاكل:

كان فيصل بن تركي قد استولى على كثير من بلدان نجد قبل أن يستولي على الرياض. وبعد استيلائه على العاصمة قدمت إليه وفود من بقية البلدان النجدية، معلنة ولاءها له دون قتال[١]. وهذا يوحي بِتطلُّع كثير من سكان المنطقة إلى حكمه، ونظرتهم المعجبة بزعامته. وكان مما قام به في مستهل فترة حكمه الثانية أن وَجَّه إلى أتباعه نصيحة مشابهة لتلك التي وَجَّهها إلى من انضمَّ إليه بعد استيلائه على العاصمة ذاتها عند بداية فترة حكمه الأولى، وتَتَضمَّن حَثَّهم على الوحدة وتطبيق أوامر الشرع؛ وبخاصة ما يَتعلَّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الزكاة[٢].

وكما كان متوقعًا اتَّجه نظر الإمام فيصل بن تركي بعد دخول نجد تحت طاعته إلى المنطقة الشرقية من البلاد. فبعث عبدالله بن بتَّال المطيري إلى الأحساء ليتَولَّى مقاليد الأمور فيها[٣]. ومن الواضح أن السكان هناك كانوا مستعدين للانضمام إلى الإمام الجديد؛ إذ لم يجد ابن بتَّال أَيَّ معارضة منهم.

وإذا كان سكان نجد والأحساء قد رَحَّبوا، بصفة عامة، بالإمام فيصل وحكمه، فإن بعض القبائل لم تُحبِّذ الخضوع لسلطة تَحدُّ من نشاطها غير المبرَّر أحيانًا. ولذلك بدأت المشكلات في فترة مبكرة من عهد ذلك الإمام. فبعد وصول ابن بَتَّال إلى المنطقة الشرقية بأشهر قليلة هاجمت قبيلة المناصير قافلة للحجاج ونهبتها. وعمل كهذا العمل المُخلِّ بالأمن والمُوجَّه ضد أرواح الأبرياء وأموالهم لا بد أن يجلب غضب الإمام على مرتكبيه. ولهذا قاد فيصل بنفسه قوات كبيرة من

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٣٤.

(٢) انظر نصها في المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤ - ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤.

الحاضرة والبادية، وتَوجَّه إلى ناحية القطيف حيث أغار على القبيلة المعتدية ونَكَّل بها[١]. ويبدو أن قبيلة المناصير لم تكن وحدها القبيلة التي لم تتجاوب التجاوب المأمول في تلك الناحية. ذلك أن الإمام قام أيضًا بمهاجمة قبيلة بني هاجر، وأنزل بها بعض الخسائر[٢]. وكان وجود الإمام فيصل بقواته الكبيرة في شرقي البلاد فرصة لانتزاع الدمام من آل خليفة. ولهذا اتجَّه إلى قصرها حتى اضطر من كانوا فيه إلى الاستسلام له. وهكذا أصبحت المنطقة الشرقية كلها جزءًا من دولته. وقبل أن يعود منها إلى الرياض عَيَّن أحمد بن محمد السديري أميرًا للإحساء، وعبدالله بن سعد المداوي أميرًا للقطيف[٣].

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي لم يَتعرَّض لغزوات خارجية مُهمَّة خلال فترة حكمه الثانية. لكنه واجه مشاكل داخلية متعددة. وإذا كانت حادثة المناصير المشار إليها سابقًا يمكن أن تفسَّر بأن تلك القبيلة لم تكن بَعدُ قد خضعت لحكمه، فإن مشاكل بعض القبائل التي كانت منضمة إليه رسميًّا لم تلبث أن قامت بما يُخلُّ بالأمن. وقد حدثت أولى تلك المشكلات وهو لا يزال في المنطقة الشرقية عام ١٢٦٠هـ. ذلك أن قسمًا من قبيلة العُجْمان، مع فئات من قبائل أخرى، أغار على زعيم قبيلة مطير محمد الدويش، ونهب كثيرًا مما كان معه. وكان الدويش قد اشترك مع الإمام فيصل في حربه ضد ابن ثُنيَّان. فما كان من الإمام إلا أن ساعده ماليًّا ليَتغلَّب على ما حَلَّ به[٤]. ويبدو أنه رأى ذلك الحَلَّ كافيًا في الظروف التي حدث فيها الحادث، ولم يقم بعمل عسكري ضد العُجْمان ومن معهم.

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ آل عبدالقادر، ج١، ص١٥٧.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٤٢.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

وكان عام ١٢٦١هـ أسوأ من العام الذي قبله من حيث المشاكل وخطورتها المستقبلية. فقد شهد ذلك العمل خلافًا بين أهالي الأفلاج اضطر الإمام إلى القيام بغزو تلك الجهة لِحَلِّه. وشهد اختلافًا من بعض أهل وادي الدواسر اضطره إلى إرسال جيش بقيادة أخيه جلوي للقضاء عليه. وشهد اعتداء فلاح بن حِثْلين، زعيم قبيلة العُجْمان على قافلة للحجاج، وقتل كثير من رجالها ونهب أموالهم. وشهد أيضًا أخذ أمير عُنَيزة، عبدالله بن سُلَيم، إبلًا لأمير جبل شَمَّر، وإغارة عُبَيِّد ابن رشيد على تلك البلدة، وقتله لأميرها عبدالله[١]. وظَلَّت المشكلات تقوم بين فترة وأخرى بدرجات متفاوتة من حيث الخطورة والتعقيد. على أن أَهمَّ مشكلة واجهها الإمام مع القبائل كانت مع العُجْمان. أما أَهَمُّ مشكلة واجهها مع الحاضرة فكانت مع زعماء القصيم.

٣- مشكلة العُجْمان:

كانت قبيلة العُجْمان رغم قِلَّتها العددية نسبيًّا من القبائل المشهورة بعنفوانها وقوة شكيمتها. وكان لزعمائها مكانة لدى الإمام تركي بن عبدالله، الذي أنزلهم في بعض ديار بني خالد في المنطقة الشرقية من دولته[٢]. وكان من أشهر زعمائها فلاح بن حثلين، الذي ظَلَّ زعيمًا لها من عهد ذلك الإمام حتى عام ١٢٦٢هـ. ومع أن الهجوم العجمي الذي حدث على الدويش قبل ذلك بعامين لم يكن بزعامة فلاح إلا أن هذا الأخير ارتكب، سنة ١٢٦١هـ، ما كان أسوأ من ذلك الهجوم[٣]. فقد اعتدى على قافلة من الحجاج، وقتل كثيرًا من رجالها، ونهب أموالهم ركابهم، مما أَدَّى إلى أن يموت ظمأ بعض من سلم من قتله. وكما

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٣ - ١٤٦.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٢٦.

(٣) كان ذلك الهجوم بقيادة محمد بن جابر الطويل.

كان متوقعًا لم يقف الإمام فيصل تجاه ذلك الاعتداء موقف المتساهل. ذلك أنه تهديد واضح للأمن، واعتداء على أبرياء قصدوا تأدية ركن من أركان الإسلام. ثم إن عددًا من هؤلاء الحجاج كانوا من رعايا دول أخرى. وفي ذلك ما فيه من تعقيدات سياسية. ولذلك فإن الأخبار ما إن وصلت إلى الإمام حتى جَهَّز جيشًا كبيرًا من الحاضرة والبادية، وتَوجَّه إلى المنطقة الشرقية. وحينما اقترب من فلاح وقومه أدرك العُجْمان الخطر المحدق بهم، وأتى كبارهم إليه معتذرين عما بدر من قبيلتهم، فأخذ منهم نَكَّالًا، وأخرجهم عن ديرتهم، وأَحلَّ بها الدويش وأتباعه. أما فلاح بن حِثْلين فقد هرب، وظَلَّ ينتقل من مكان إلى آخر حتى قُبِض عليه وقُتِل في الأحساء سنة ١٢٦٢هـ[١].

وبعد مقتل فلاح بن حِثْلين أصبح ابنه راكان، الشاعر والفارس المشهور، رئيسًا لقبيلة العُجْمان. وقد أمضى راكان سنوات من رئاسته دون أن يحدث مشكلات لحكومة الإمام فيصل. لكنه بدا، سنة ١٢٧٦هـ، وكأنه قد وثق بقوة قبيلته بدرجة كبيرة، فأغار على إبل للإمام فيصل نفسه، وأخذها، ثم ارتحل إلى الصُبَيحية القريبة من الكويت، وقام بغارات على أطراف العراق. فجَهَّز الإمام جيشًا بقيادة ابنه عبدالله لمعاقبته هو من ومعه. وقبل أن يصل عبدالله إلى الصُّبَيحية هاجم فريقًا من العُجْمان فهزمهم. ثم اتَّجه إلى ذلك المكان، فوجد فيه فريقًا آخر من تلك القبيلة، فانتصر عليهم. وكان راكان قد تَحرَّك من هناك، ونزل الجَهْراء. فَتوجَّه عبدالله بمن معه إلى المكان المذكور، ودارت بينه وبين راكان معركة انتهت بهزيمة العُجْمان، وقتل حوالي سبع مئة رجل منهم. وفَرَّت فلولهم إلى داخل بلدة الكويت، واحتمت بها. وكان ممن سُرَّ بنتيجة المعركة زعماء البصرة والزبير، الذين تَعرَّضت أطراف بلديهما لغارات راكان وأتباعه[٢].

(١) الفاخري، ص١٧٩؛ ابن بشر، ج٢، ص١٤٥ - ١٤٦ و١٤٨.
(٢) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص٢٧ - ٢٨.

على أن قبيلة العُجْمان، رغم ما حَلَّ بها من خسارة في معركة الجَهْراء، لم تيأس من القدرة على النهوض. لكنها أدركت أنها غير قادرة على الانتقام إلا بانضمام حليف قوي إليها. وقد وجدت ذلك الحليف في فئات من قبيلة المنتفق. وبدأ المتحالفون من القبيلتين يغيرون على كثير من القوافل في شمالي شرق الجزيرة العربية وأطراف البصرة والزبير. واتَّخذوا من الجَهْراء مركزًا لنشاطهم. وحين علم الإمام فيصل بأعمالهم وخططهم التي كانوا يعدونها ضده، جهز جيشًا بقيادة ابنه عبدالله لمحاربتهم. وسار عبدالله بقواته من الحاضرة والبادية حتى هاجمهم في الجهْراء بعد سنة من محاربته للعُجْمان في ذلك الموضع. وكان النصر حليفه حيث أصبح المتحالفون بين قواته والبحر. وكان أولئك المتحالفون حوالي ألف وخمس مئة رجل، فمات كثير منهم قتلًا أو غرقًا. ولذلك عُرِفت تلك السنة لدى بعض سكان المنطقة بسنة الطبعة؛ أي الغَرَق[1].

على أن راكان بن حِثْلين استطاع أن يخترق صفوف المهاجمين ويهرب مع من سلم من قومه[2]. وبذلك النجاح الذي حَقَّقه عبدالله بن فيصل على المتحالفين خضدت شوكة قبيلة العُجْمان بقية فترة حكم الإمام فيصل.

٤- مشكلة القصيم:

ترجع أسباب مشكلة القصيم في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية إلى جذور تاريخية، من أَهمِّها الخلاف الذي كان موجودًا بين زعماء تلك المنطقة وزعماء جبل شَمَّر. ولَعلَّ بداية ذلك الخلاف لجوء بعض أنصار آل

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠ - ٣٥.

(٢) وقد قال راكان وهو يخترق الصفوف على ظهر جواده:

يا قومنا ما من صديق جمعين والثالث بحر

والله لا بوج لها الطريق لعيون برَّاق النحر

انظر آل عبدالقادر، ج١، ١٦٠.

علي، أمراء الجبل سابقًا وخصوم عبدالله بن رشيد، إلى بُرَيدة. وقد حاول ابن رشيد، سنة ١٢٥٤هـ، أن يعتدي على أحد أولئك الأنصار في هذه البلدة، ففشل في مسعاه. وخرج إليه أميرها، عبدالعزيز بن محمد آل أبي عليَّان، فقتل ستة من رجاله، وأخذ كثيرًا مما كان معه من لباس وسلاح وركائب. ثم أخذ ابن رشيد إبلًا تابعة لأهل بُرَيدة[١]. وهكذا بدأ الاحتكاك غير الوُدِّي بين الطرفين. وتَطوَّر ذلك الاحتكاك إلى تَوتُّر في العلاقات أَدَّى إلى معركة بَقْعاء المشهورة سنة ١٢٥٧هـ. وكان من نتائج تلك المعركة، التي هُزِم فيها أهل القصيم وحلفاؤهم من عنزة، أن قُتِل أحد أبناء بُرَيدة، كما قُتِل صبرًا بعد انتهائها أمير عُنَيزة يحيى بن سُلَيم[٢].

وفي عام ١٢٦١هـ أخذ أمير عُنَيزة، عبدالله بن سُلَيم، إبلًا لعبدالله بن رشيد. وفشلت المفاوضات لردِّها إليه، فأغار أخوه عُبَيد على غنم عُنَيزة. وخرج من خَفَّ من أهل هذه البلدة مع أميرها لاسترجاع الغنم. لكن عُبَيدًا انتصر عليهم، وأسر الأمير عبدالله، ثم قتله صبرًا. ويبدو أن أهل البلدة المذكورة كانوا يعتقدون أن الإمام فيصلًا سيقوم بمعاقبة عبدالله بن رشيد على ما فعله أخوه عُبَيد. لكن ذلك الإمام اقتنع بما ذكره أمير الجبل من أسباب لما حدث[٣].

وفي سنة ١٢٦٣هـ جَهَّز شريف مكة، محمد بن عون، حملة عسكرية، وتَوغَّل بها في نجد حتى وصل إلى القصيم. وقد أشار ابن بشر إلى أن أناسًا من رؤساء أهل تلك المنطقة الموجودين في الحجاز قد زَيَّنوا للشريف غزو البلاد النجدية[٤]. وربما كان ذلك صحيحًا، وسواء كان ذلك هو السبب الوحيد للغزو أو

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٠٢ - ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٧ - ١١٨؛ العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص٢٣١ - ٢٤٠.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٤٦؛ ضاري الرشيد، ص١٦٧ - ١٧٩.

(٤) ابن بشر، ج٢، ص١٥٠.

لم يكن فإن الشريف، على أَيِّ حال، وجد تعاونًا من بعض زعماء القصيم حينما وصل إليها[1]. لكنه أدرك أن قوة الإمام فيصل كانت أعظم مما اعتقده. فمال إلى الصلح، وأهدى إليه الإمام هدية جليلة، فعاد إلى مكة المكرمة[2].

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي قد اعتقد أن لأمير عُنَيزة، إبراهيم بن سُلَيم، يدًا في إغراء الشريف بغزو نجد، وأنه فتح أبواب بلدته أمامه. ولذلك عزله عن إمارة تلك البلدة سنة ١٢٦٤هـ، وعَيَّن مَحلَّه ناصر بن عبدالرحمن السُّحَيمي. لكن هذا الإجراء أصبح مصدر فتنة بين أسرة الأمير المعزول وأسرة الأمير الجديد. فقد حاول عدد من آل سُلَيم، بزعامة عبدالله بن يحيى، اغتيال السحيمي. لكنهم لم ينجحوا في ذلك، وإنما نجحوا في إصابته بجروح. وحاولوا الاستيلاء على قصر الإمارة، الذي كان فيه أخوه مطلق، ففشلوا. ولم يبق أمامهم إلا الهروب من عُنَيزة. فهربوا منها إلى بُرَيدة، واحتموا بأميرها عبدالعزيز آل أبي عليَّان. وقد ألزمهم الإمام فيصل أن يفدوا إليه في الرياض لينظر في أمرهم.

أما السحيمي فقد قام بقتل الأمير السابق، إبراهيم بن سُلَيم، وجرح أخيه علي، كما قام أخوه مطلق بقتل أحد أعوان آل سُلَيم. فأمر الإمام السحيمي بالحضور إليه ليتحاكم مع عبدالله ابن يحيى ومن معه عند قاضي الرياض[3].

ويبدو أن الإمام فيصلًا رأى من المصلحة إبعاد الأسرتين المشار إليهما عن إمارة عُنَيزة، وتعيين أحد رجاله فيها. فبعث عبدالله المداوي إلى تلك البلدة. لكن أخا السُّحيمي رفض أن يُسلِّمه قصر الإمارة. ولَعلَّ المداوي شعر بأن السكان

---

(١) هناك من المصادر ما يشير إلى أن سبب الغزو عدم دفع الإمام فيصل إلى الدولة العثمانية- عن طريق الشريف- ما كان عليه أن يدفعه. انظر: وايندر، ص١٧٩ - ١٨٠.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٧ - ١٥٨؛ الذكير، ص٧٤.

هناك لن يتعاونوا معه، فذهب إلى بُرَيدة ليدرس الوضع بتؤدة ورَوِيَّة. ثم استدعاه أهل عُنَيزة، فعاد إليها لكنهم ما لبثوا أن أظهروا بوادر الثورة. وحينما علم الإمام بذلك سأله السُّحيمي أن يعيده إلى إمارة البلدة لكي يقضي على ثورتها. فسمح له الإمام بالعودة إلى عُنَيزة. لكنه ما إن وصل إليها حتى انضم إلى الثائرين فيها. وقد نجح أولئك الثائرون في كسب أمير بريدة، ليصبح رئيسًا لثورة عامة في القصيم[1].

وبعد أن أصبحت ثورة القصيم عامة برئاسة عبدالعزيز آل أبي عُليَّان قاد الإمام فيصل بنفسه قوات كبيرة، وتَوجَّه إلى تلك المنطقة للقضاء على ثورتها سلميًّا أو عسكريًّا. وحينما وصل إلى بلدة المِذنَب بعث إلى زعماء القصيم يدعوهم إلى حَلِّ الأمر بطريقة سلمية، فاستجابوا لدعوته واتَّفقوا معه على أن يعودوا إلى طاعته ويلتزموا بما التزم به بقية سكان دولته. وبدا وكأن الأمور في تلك المنطقة قد عادت إلى مجاريها. لكن حادثة وقعت فبَدَّدت ما كان مؤملًا.

قبل أن يعود الإمام فيصل إلى الرياض علم أن فئات من قبيلة عنزة قد اجتمعت في القصيم. وكانت هذه القبيلة حينذاك حليفة لأهل تلك المنطقة. ويبدو أن الإمام قد رأى أن اتِّفاقه مع زعماء القصيم لا يشمل القبيلة المذكورة. فأمر ابنه عبدالله أن يهاجمها. ونَفَّذ الابن ما أمره به والده، وغنم بعض ما كان معها من الإبل والغنم. فقدم زعيمها إلى عُنَيزة، التي كان عبدالعزيز آل أبي عُليَّان لا يزال فيها. وهَبَّ عبدالعزيز وبعض أتباعه لينتقموا من عبدالله بن فيصل. وحينما تجاوزوا بُرَيدة قابلهم بدو من قومه معهم أغنام أرسلها إلى أبيه. فأخذوا الأغنام، وأمسكوا الرجال. وفَضَّل بعضهم الاكتفاء بذلك. لكن بعضهم الآخر

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩.

أَصرَّ على مهاجمة عبدالله بن فيصل ومن معه. وتقابل الطرفان في اليُتيِّمة، فانتصر عبدالله على أهل القصيم انتصارًا عظيمًا. وكان ذلك عام ١٢٦٥هـ[١].

وبعد معركة اليُتَيِّمة عاد عبدالعزيز آل أبي عُليَّان إلى عُنَيزة. وقد رأى سكانها غير مُتحمِّسين لدعوته لقتال الإمام، فهرب منها عائدًا إلى بُرَيدة. وهرب من عُنَيزة، أيضًا، ناصر السُّحيمي، واتَّجه إلى طلال بن رشيد[٢] الذي كان مع أتباعه في القوارة حينذاك بناء على توجيه من الإمام فيصل. واجتمع رؤساء هذه البلدة بعد هروب عبدالعزيز وناصر منها، وسألوا قاضيهم عبدالله أبا بطين أن يركب إلى الإمام فيصل، ويطلب منه العفو عنهم. وقد استجاب الشيخ عبدالله لسؤالهم بشرط أن يكفلهم محمد البسام، الذي كان مسموع الكلمة فيهم. وحين تَمَّ ذلك ذهب إلى الإمام وحصل منه على عفو لهم. وتَقدَّم ذلك الإمام بمن معه إلى تلك البلدة فدخلها، وجَدَّد أهلها البيعة له[٣].

ثم بعث الإمام فيصل إلى عبدالعزيز آل أبي عُليَّان في بُرَيدة، وطلب منه أن يستسلم له وإلا فإنه سيحاربه. لكن بعض أقارب عبدالعزيز وفدوا إلى الإمام، وتفاوضوا معه بشأنه، وبذلوا أموالاً وسلاحًا وخيلًا إليه، كما تَعهَّدوا بعدم حدوث أَيِّ مشكلة منه مستقبلًا. فعفا عنه الإمام، وأبقاه أميرًا في بلده، على أن ذلك الإمام اتَّخذ خطوة إدارية اعتقد أنها ستسهم في إقرار الأمن في القصيم، وتُقلِّل من نفوذ عبدالعزيز ومكانته فيها؛ إذ عَيَّن أخاه جلوي بن تركي أميرًا عامًّا لتلك المنطقة، ومَقرُّه في عُنَيزة[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٢ - ١٦٤.

(٢) في عام ١٢٧٥هـ ذهب ناصر السحيمي إلى الهلالية لينظر خيله الموجودة هناك، فسطا عليه عبدالله بن يحيى، وزامل بن عبدالله، وحمد بن إبراهيم آل سليم، وقتلوه. وهرب أخوه من عنيزة إلى أشيقر حيث توفي سنة ١٢٨٢هـ ابن عيسى، عقد الدرر، ص٢٤.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٦٦ - ١٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٠ - ١٧١.

وفي عام ١٢٦٦هـ خرج الإمام فيصل من الرياض غازيًا بعض القبائل في أمكنة على حدود القصيم. ويبدو أن عبدالعزيز آل أبي عُليَّان لم يعد واثقًا كل الثقة من وضعه الجديد. فما إن اقترب الإمام وأتباعه من المنطقة حتى هرب من بلدته مُتَّجهًا إلى الشريف محمد بن عون في الحجاز. وحينما علم الإمام بهروبه ذهب إلى بُرَيدة، وعيَّن عبدالمحسن بن محمد -أخا الأمير الهارب- أميرًا عليها. وحاول عبدالعزيز أن يغري الشريف بغزو نجد، لكن تجربة الشريف السابقة، وما قام به عبدالله بن فيصل من غزوات على القبائل المتاخمة للأراضي الحجازية، أقنعا ذلك الشريف بعدم الإقدام على أَيِّ خطوة عسكرية ضد الإمام فيصل. غير أنه شفع لعبدالعزيز لدى الإمام حتى أعاده إلى إمارة بُرَيدة[١].

ولم تستمر الأمور في القصيم على ما كان يؤمل دعاة الاستقرار. ذلك أن آل سُلَيم وأنصارهم في عُنَيزة ثاروا على جلوي بن تركي، وأجبروه على مغادرة بلدتهم سنة ١٢٧٠هـ. وتَولَّى الإمارة بعد مغادرة جلوي عبدالله بن يحيى بن سُلَيم. فَجهَّز الإمام فيصل جيشًا بقيادة ابنه عبدالله لمحاربة تلك البلدة الثائرة. وحدثت بين عبدالله وأهلها عدة اشتباكات توصل الطرفان بعدها إلى صلح تَمَّ إبرامه في الرياض بين الإمام فيصل وعبدالله بن يحيى. وبموجب هذا الصلح تبقى البلدة تابعة للإمام، ويكون عبدالله بن يحيى أميرًا لها[٢].

على أن مشكلة القصيم لم تنته عند الصلح بين الإمام فيصل وأمير عُنَيزة. ففي عام ١٢٧٥هـ طلب ذلك الإمام من عبدالعزيز آل أبي عُليَّان أن يحضر إليه في الرياض. وحينما مثل بين يديه أوضح له ما كان قد أخذه

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٢ - ١٧٨.

(٢) ابن عيسى، **عقد الدرر**، ص١٦ - ١٧؛ دوتي، وترجمة عنوان كتابه: **رحلات في جزيرة العرب**، نيويورك، ١٩٢١م، ج٢، ص٤٥٩.

عليه من مآخذ، وعزله عن إمارة بُرَيدة، وعَيَّن بدلًا منه عبدالله بن عدوان آل أبي عُليَّان. لكن أقارب الأمير المعزول قتلوا الأمير الجديد بعد عام من تَولِّيه الإمارة. ومن الغريب أن الإمام فيصلًا عَيَّن أحد المشتركين في قتل ابن عدوان، وهو محمد الغانم، أميرًا للبلدة. على أن إمارة محمد لم تطل؛ إذ عزله الإمام عن الإمارة، وأعاد إليها عبدالعزيز آل أبي عُليَّان بعد أن تَعهَّد له بإصلاح الأمور في بُرَيدة، وإرسال من قتلوا ابن عدوان إلى الرياض أو نفيهم عن البلاد. لكن عبدالعزيز لم يَفِ بما تَعهَّد به للإمام فيصل؛ إذ قَرَّب المقاتلين إليه. وبعد أن انتهت معركة عبدالله بن فيصل مع العُجْمان وحلفائهم، سنة ١٢٧٧هـ، اتَّجه بقواته إلى القصيم. فخاف عبدالعزيز على نفسه، وغادر بُرَيدة إلى عُنَيزة. ثم خرج من هذه البلدة مُتَّجهًا مرة أخرى إلى الحجاز. لكن فرقة من جيش عبدالله بن فيصل، بقيادة أخيه محمد، لحقت به في مكان غير بعيد من عُنَيزة، فقتلته. وعَيَّن الإمام عبدالرحمن بن إبراهيم أميرًا في بُرَيدة[١].

ويبدو أن مقتل عبدالعزيز آل أبي عُليَّان في مكان يَعُدُّه أهل عنيزة حمى لهم كان سببًا من أسباب تَجدُّد الخلاف بين زعماء هذه البلدة والإمام فيصل[٢]. وقد تَوتَّرت العلاقات بينهما حتى تَحوَّلت إلى حرب بدأت في شوال سنة ١٢٧٨هـ. وكان قائد القوات التابعة للإمام في بداية الأمر عبدالرحمن بن إبراهيم، أمير بُرَيدة. ثم تَولَّى القيادة محمد بن فيصل، فأخوه عبدالله في السنة التي تلتها. وقد استمرت الاشتباكات بين الطرفين حوالي سنة كاملة. لكن المعركتين الكبيرتين في تلك الاشتباكات كانتا معركة رُوَاق، والمعركة المسمَّاة كون المطر[٣].

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص٢٤ - ٢٥ و٣٥ - ٣٦. وابن إبراهيم من الفضول. وكانت أسرته مستقرة في بلد أبا الكباش قرب الدرعية. ثم استقرت في الرياض وحائل. وقد تولَّى أفراد من أسرته مناصب الإمارة في بلدان مختلفة من المملكة.

(٢) دوتي، ج٢، ص٤٥٩.

(٣) الكون: المعركة.

وقد انتصر أهل عُنَيزة في الأولى، وكادوا ينتصرون في الثانية لولا أن الله أنزل المطر، فأبطل أسلحتهم من البنادق التي تثور بالفتيل. وطالت محاصرة عبدالله بن فيصل لعُنَيزة إلا أنه توصل في نهاية الأمر إلى صلح مع زعمائها بذل في عقده طلال بن رشيد جهدًا بارزًا. وقد صحب عبدالله بن يحيى بن سُلَيم، أمير البلدة، عبدالله بن فيصل إلى الرياض حيث قابل الإمام فيصلًا، وجَدَّد له البيعة[1]. وعادت العلاقة بين زعماء بلدة عُنَيزة والإمام فيصل إلى مجراها الطبيعي. وبذلك انتهت مشكلة القصيم التي أخذت من وقت الإمام فيصل وطاقاته المادية الشيء الكثير.

٥- علاقته بإمارات الخليج وعمان:

لم تكن العلاقة بين دولة الإمام فيصل بن تركي والكويت في تلك الفترة مما يجعل المصادر التاريخية تهتم بها وتُعلِّق عليها. ومع أن المنهزمين من قبيلة العُجْمان أمام عبدالله بن فيصل، سنة ١٢٧٦هـ، هربوا إلى داخل الكويت، وأن عبدالله حاول أن يخرجهم حاكمها منها، فإن الأمر لم تحدث له مضاعفات سلبية. بل إن عبدالله لم يعد من هناك إلا وقد تبادل مع ذلك الحاكم رسائل الصداقة والمودة[2].

أما علاقة الإمام فيصل بحكام البحرين فكانت مختلفة تمام الاختلاف عن علاقته بحكام الكويت. فقد تَمكَّن في بداية فترة حكمه الثانية من استعادة قصر الدمام، الذي كان آل خليفة قد استولوا عليه منذ فترة. وتوصل مع حاكم

---

(١) انظر تفصيل تلك الحرب في ابن عيسى، عقد الدرر، ص٣٩-٤٢. دوتي، ج٢، ص٢٦٠ - ٢٦٣، الذكير، ص٨١ - ٨٤. ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى السلمان، ص١٨٠ - ٢١٢.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٤٠.

البحرين حينذاك إلى اتفاق مشابه للاتِّفاق الذي كان موجودًا بين سلفيهما. وأَهمُّ ما فيه دفع ذلك الحاكم الزكاة إلى الإمام فيصل، ومساعدة الإمام له ضد أَيِّ عدوان خارجي. لكن العلاقة بين الطرفين لم تستمر وفق ما كان مؤملًا. بل خضعت لتَقلُّبات مختلفة نتيجة لظروف كُلٍّ منهما. فقد كان الوفاق يسود، أحيانًا، فيعملان بما سبق أن اتَّفقا عليه، ويدفع حاكم البحرين الزكاة إلى الإمام. وأحيانًا أخرى كانت العلاقات تَتوتَّر فيرفض ذلك الحاكم ما كان يدفعه إلى الإمام. وربما تَطوَّر الأمر إلى المناوشات العسكرية أو التهديد بالغزو. وكان الخلاف الموجود حينذاك بين آل خليفة أنفسهم، والتدخُّل البريطاني، من الأمور التي زادت المشكلة تعقيدًا. ولقد وقفت بريطانيا - كما كان متوقعًا - بجانب حاكم البحرين لما كان لها من نفوذ ومصالح خاصة في بلاده. ولم يكن وقوفها معه محصورًا في تهديدها للإمام فيصل بأن يَتجنَّب غزو البحرين، وإنما تجاوز ذلك إلى ضرب موانئه لعدم إبعاده لمعارضي ذلك الحاكم من آل خليفة عنها بحجة عدم ضمان أمنه ما داموا فيها. على أنه في أواخر عهد الإمام فيصل نجح في وساطته لِحَلِّ الخلاف الأُسَري بين آل خليفة. وعاد المعارضون لحاكم البحرين إلى بلادهم[1].

وأما بالنسبة لجهات عمان فقد أرسل الإمام فيصل إليها قوات بقيادة سعد بن مطلق المطيري سنة ١٢٦١هـ[2]، واستطاعت أن تَتوغَّل في الأراضي العمانية، واضطر حاكمها إلى دفع الزكاة إليه[3]. ومع أن نفوذ السعوديين في

(١) انظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٧، ١٧٩ - ١٨٠؛ وايندر، ص١٨٥ - ١٨٦، ١٨٨ - ١٩١؛ نخلة، ص١٢٥ - ١٣٤.

(٢) وسعد بن مطلق هو ابن القائد مطلق، الذي كانت له جهود في بسط النفوذ السعودي في جهات عمان زمن الدولة السعودية الأولى.

(٣) وايندر، ص١٩٤؛ اعتمادًا على سالدانا حول نجد، ص١٤؛ كيلي، ج١، ص٦٧٦ - ٦٧٧.

تلك الجهات- بل وفي البُرَيمي ذاتها- تَعرَّض بعد ذلك لنكسات شديدة، إلا أنهم تَغلَّبوا في نهاية الأمر، بقيادة عبدالله بن فيصل، على الصعوبات التي واجهتهم، واستعادوا بعض ما فقدوه من نفوذ[1].

٦- علاقته بالدولة العثمانية:

من الواضح أن الإمام فيصل بن تركي كان على استعداد للتفاهم مع الدولة العثمانية. ربما كان سبب ذلك إدراكه لقوتها، وما قد تُؤدِّي إليه معاداتها من مشكلات. ومن المرجح أنه وافق على التبعية الاسمية لها، وعلى دفع مبلغ من المال كل سنة إليها رمزًا لتلك التبعية[2]. ولَعلَّ مما يُؤيِّد ذلك أن الإمام ذكر في إحدى رسائله إلى المقيم البريطاني في الخليج أنه تابع للسلطان العثماني[3]، وأن والي بغداد؛ مُمثِّلًا للدولة العثمانية، قد احتج على بريطانيا لاعتدائها على أراضي الإمام فيصل مُبرِّرًا احتجاجه بتبعية الإمام لذلك السلطان[4]. على أنه من الواضح أن هذه التبعية؛ سواء صَرَّح بها الإمام أو صَرَّح بها الوالي العثماني على العراق، إنما قُصِد بها، أساسًا، تقوية موقف من أشار إليها ضد ذلك العدو المشترك؛ وهو بريطانيا.

وكان دفع الإمام فيصل بن تركي المال إلى العثمانيين خاضعًا للظروف المحيطة بكلا الطرفين. فمن المرجح أن الإمام لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري، لأن سلطة الدولة العثمانية في غربي الجزيرة العربية قد تَعرَّضت لكثير من الهزات العنيفة. لكن حينما

---

(١) انظر تفصيل ذلك لدي ابن بشر، ج٢، ص١٥٥ - ١٥٦ و١٧٩؛ وايندر؛ ص١٩١ - ٢٠٢؛ نخلة، ص١١٥ - ١٢٤.

(٢) وايندر، ص١٧٩ و٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠٧.

(٤) نخلة، ص١٣٣.

تَمكَّنت تلك الدولة من استعادة هيبتها في المنطقة المذكورة، وتَغلَّبت على مشكلاتها هناك عاد الإمام فيصل إلى دفع ما كان يدفعه إليها في الماضي[1].

٧- علاقته ببريطانيا:

كانت بريطانيا دائمًا تقف ضد أَيِّ دولة قوية تحاول مَدَّ نفوذها في الخليج وجهات عمان التي لها مصالح فيها. فقد وقفت ضد الدولة السعودية الأولى، ثم وقفت ضد محمد علي. ولم يكن موقفها من الإمام فيصل مختلفًا عن موقفيها السابقين؛ وبخاصة أن نفوذها في المنطقة قد ازداد بعد انسحاب القوات المصرية منها، وأصبحت مصالحها فيها أكثر من ذي قبل.

لقد امتنعت بريطانيا عن مساعدة المعارضين للإمام فيصل في البُرَيمي وما حولها في بداية عهده، وأرسل إليها الإمام رسالة عَبَّر فيها عن أمله في إقامة علاقات طيبة معها مثل تلك العلاقات التي كانت بينها وبين أبيه الإمام تركي. وحينما تَوغَّلت القوات السعودية في عمان نصحت بريطانيا القادة العمانيين أن يدفعوا إلى قائد تلك القوات ما أراده من أموال. لكنها وقفت ضد أَيِّ محاولة يقوم بها السعوديون للاستيلاء على مسقط وصحار.

وكان موقف بريطانيا بالنسبة للنزاع بين الإمام فيصل وآل خليفة مشابهًا، بدرجة كبيرة، للموقف الذي اتَّخذته في عمان. ذلك أنها لم تُشجِّع حاكم البحرين على عدم دفع الزكاة إلى الإمام، لكنها وقفت إلى جانبه ضد أَيِّ محاولة غزو لبلاده. بل هاجمت أراضي فيصل لعدم تَخلِّيه عن إيواء خصوم ذلك الحاكم[2].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن علاقة فيصل بالعثمانيين انظر **الدولة السعودية الثانية**، لعبدالفتاح أبي علية، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص١٥٠ - ١٥٤.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن علاقة الإمام فيصل ببريطانيا، انظر وايندر، ص١٩٢ و٢١٧ - ٢٢١؛ نخلة، ص١٢٥ - ١٣٤؛ أبا علية، ص١٣٣ و١٤٢ - ١٤٧.